مختلف عن الآخر . لا بد أن أضع جانبا أو أنسى كل هذه الوجوه ، حتى ألمس ما هو مشترك بينها ، وما يحركها . ولن أنجح دائما .

وما يجب الا نغفله هو أنه حينما كانت الثورة الفلسطينية ، في الخارج ، تلمع بوهج عظيم ، في هذا الوقت نفسه كان السلاح ينتزع من أيدي الفدائيين وكانت قواعدهم تتقلص أكثر وأكثر . ما زلت أذكر ليلة قضيتها في مغارة قرب نهر الاردن ، حينما كان احد المسؤولين يحاول اقناع عشرين فدائيا او اكثر بالقاء السلاح — وكانت حجته بأن الجيش الاردني من طرفه سيحد من هجومه . وكان الفدائيون ناقمين ، وغير مقتنعين بالاسلوب . وفي النهاية ، اقلعوا عن المعارضة ! وكانت هذه بداية انهيار الثورة في الاردن ، في الوقت الذي كانت فيه الشبيبة في العالم اجمع ، تمجد المقاومة .

جذور الشخصية الفلسطينية

خصوصية الثورة الفلسطينية تعود الى جذورها . كانت فلسطين قاطعة عثمانية ذات طابع فلاحي أساسا ، تعيش في شيء من الحرية . وكان الموظفون الاتراك يأتون بين حين وآخر لجني نوع من الضرائب . واليهود فيها ، كما في سائر العالم العربي ، كانوا قلائل . وحينما قررت الصهيونية ، في أوان تعيماتها ، احتلال البلد ، لم ير السكان في البدء حرجا . كانوا يعلمون ان العديد من اليهود هربوا من المذابح الروسية واليولونية . ولهذا لم يسيئوا معاملتهم . لكن الاحتلال اليهودي استمر وتصاعد حتى أصبح جارفا . وبدأ الفلسطينيون بالتململ . ومع انهم كانوا جزءا من كل متجانس يحمل اسم « الامة العربية » الا ان العرب انفسهم بدأوا بالتكلم عن **الفلسطينيين** وعن **فلسطين** وعما يحدث فيها . وفي مواجهتهم لليهود ورواد الاحتلال — الذين بدوا فقراء الا أن أموال الصندوق القومي كانت وراءهم — بدأ الفلسطينيون بالشعور بخصوصيتهم : بدأوا يشعرون بخصوصية لغتهم ، دينهم ، عاداتهم وأسمائهم . كان هذا بدء وعي جماعي ، ولكنه لم يكن بعدا قوميا(١) . وبعملية شراء خبيثة للاراضي ، ومنع بيعها فيما بعد لغير اليهود ، أصبح اليهود ملاكا لمساحات واسعة . وتطور الوعي الفلسطيني ، وما زال يتطور الآن ، نحو وعي قومي أكثر وأكثر نضوجا ، في وجه عملية مقابلة عند اليهود . وفي الوقت الذي كان عدد اليهود يتزايد وأملاكهم تتسع ، لم يبلغ الفلسطينيون درجة الوعي بشخصية قومية — مستقلة في اطار العالم العربي — الا حينما افتقد هذا الشعب أرضه . وكان اليهود قد اشتروا الارض أو طردوا السكان باستعمال الاساليب الارهابية . ويمكننا القول اذا ، ان الوعي القومي الفلسطيني نضج في الوقت الذي انتزعت فيه الارض كالبساط من تحت أقدامهم . والهزات الثلاث الاعنف لانتزاع البساط كانت في ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ و١٩٦٧ . والشعب الفلسطيني أصبح في النهاية حقيقة . أصبح كيانا ولكن بدون أرض .

ما سأطلق عليه فيما يلي اسم « الاخلاق اليهودية — المسيحية » ، وهي مفهوم لا يعبر عنه لفظ « الاخلاق البورجوازية » ، ولكن ربما ناسبه لفظ « النزعة الانسانية المسيحية » humanisme chrétien ، يمتد الآن ليشمل العالم أجمع . ولا أستثني الصين بعد دخولها الامم المتحدة واليونسكو ومؤسسات أخرى أوجدت في ظل هذه النزعة . وحتى نواجه هذه النزعة ، التي تشمل تقريبا احترام العائلة والملكية والشوفينية والنظام والقانون (بشرطته وعدليته) والجيش والمرتبية hiérarchie ، والفن الاكاديمي وقواعد اللغة الخ ، نحتاج لاحد أولئك المخربين الكبار ، الذين كان نيتشه أحد اسلافهم . هذه النزعة تعتمد ، فيما تعتمد عليه ، على الملكية العقارية . نعلم جيدا ان التداول (البنوك ،

---

(١) هذه الكلمة هي ترجمة national ولكن الترجمة الدقيقة تشير الى الانتماء الى وحدة — شعب — ذي صفات مميزة .